أوقات عاصفة

هويده عامر

الطبعة الأولى يناير ٢٠٢٠

الكتاب : أوقات عاصفة

المؤلف : هويده عامر

تدقيق لغوي : هدير محمود

تصميم الغلاف : محمود دربالة

رقم ايداع : 26138 - 2019

ترقيم دولي : 9 - 5 - 85604 - 977 - 978



دار مسار للنشر و التوزيع



01020439639



massar.pub1@gmail.com



ش - حسن خطاب - قسم يوسف بيك
- الزقازيق - الشرقية

هويده عامر

أوقات عاصفة



إهداء

إلى إبراهيم وليد أيامي وسلوى عمري وأمنياتي...
إلى كل قلب يحيا بغير مؤنس...
إلى كل من لا يجد حضنًا أمنًا يبكيه مرارة أيامه...
إلى من أضاع عمره هباء باحثًا عن شاطئ نجاة...
«اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم».

خلف النوافذ تختبئ الحكايات, تلك الأسوار العالية والأبواب المغلقة تبدو عن بعد هادئة لا يصدر عنها أنين, مبهرة المنظر ملتفة بحدائق من الزهور متناسقة الأشكال و الألوان تنثر عبيرها في أرجاء المكان تشع بهجة للناظرين, فدعونا نقترب لنعلم ما يدور بين جدرانها من أسرار وحكايات.

كلمة الكاتب

مقدمة

يمر بحياة كل منا أوقات صعبة ومواقف معقدة قد يخطر بذهنه حينها أنَّه لا يمتلك القدرة على التعامل معها أو اِتخاذ القرار الصائب، أو أن العمر سينقضي دون أن تمضي تلك الصعاب.

الفصل الأول

في شرفة غرفتي بالشقة الواقعة بميدان «العقاد» بالطابق الثاني وقبل بزوغ فجر اليوم... اعتدت أن أتنفس الهواء النقي العليل المشبع بندى الصباح يداعب فروع الأشجار، فتتمايل أغصانها وتتراقص على لحن نسائم ربيعية عذبة ممتزجة بزقزقة العصافير، تشدو أعذب ألحانها. وأُمتع عيني وقت أن ينسلخ الخيط الأبيض من الخيط الأسود معلنًا ميلاد الشروق والبكور...

****

مر عامان على آخر لقائي ب(عادل)، وكان تعارفنا حينما رأيته مصادفة أثناء عبوري المدخل الرخامي المؤدي لإحدى الطرقات بالطابق الثاني بينما أنا في طريقي لمكتب مديرة المدرسة... كان يرتدي (تي شيرت) بنفسجي اللون، وهو أكثر الألوان المحببة إليَّ لا أعلم السبب (ربما تشابة الحزن الكائن بقلبي مع ما ينفرد به ذاك النوع من الزهور كما يطلق عليه الزهر الحزين).. وبنطالًا أسود... كان طويل القامة، أبيض الوجه ذو جاذبية وحضور بالغين.. لا أدري يومئذ لماذا رفع نظارته الشمسية السوداء عن

عينيه ووضعها أعلى شعره البني الناعم فهل أراد بذلك أن أغرق في بحورهما وأظل أبحث عن شط النجاة... ربما لم يشعر أنِّي تمنيت في تلك اللحظة أن أعبر البحار السبع التي قرأت عنها في حكايات ألف ليلة وليلة وأن تقذف بي لشاطئهما، أو كمن تاهت أدلته في عرض الصحراء في ليلة حالكة الظلام فرفع وجهه ناظرًا للسماء عله يجد نجمًا يهتدي به في مشوار عمره قاصدًا ضالته...

****

تخرجت في كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان، عام ٢٠٠٠ وعملت كإخصائي اجتماعي بإحدى المدارس الرسمية المشتركة (لغات) ذلك العمل المميز الذي يثقل عقلك بالخبرات وقلبك بالهموم... أغوص من خلاله إلى أعماق الطلبة وإلى عالم من مشكلاتهم والتي لا تتعلق بالحياة المدرسية فحسب بل تتطرق للحياة الاجتماعية والاقتصادية لكل أسرة... فعند بحث مشكلة أحدهم, أقوم بدراسة شاملة لأحوال أسرته ولقاء الإباء ومحاولة الوصول معهم إلى حل مناسب لحماية أبنائهم من التمادي في خطأ يصعب تداركه.

****

بعد مرور ساعة من الوقت وأنا على حالتي من التأمل والاسترخاء. تتبعت إحدى جيراني أثناء سيرها بالاتجاة المقابل لي... (نادين) كانت مبتسمة، لوحت بيدها تلقي عليَّ تحية الصباح، فأيقنت

سطوع الشمس بنورها ونارها الملتهبة، وسرت بكياني رعدة قوية فيما تجلب لنا من نزاعات ذاك اليوم الجديد وما يحويه من تقلبات الفصول الأربعة التي نعيشها خلال ساعاته.

وكانت على عجلة من أمرها، رأيتها ترتدي بلوزة بيضاء تطل من خلف ذلك التايير الأزرق ورابطة عنق بنفس اللون و scarfأو وشاح وردي اللون يلتف حول عنقها ليصل بالكاب الذي وضعتة فوق رأسها، وحذاء أسود، متشبهة بمضيفات الطيران فتلك كانت أمنيتها التي لم تتحقق يومًا.

واليوم تتوجة لاستلام عملها الجديد بإحدى شركات التصدير والاستيراد وقد تركت لتوها العمل بالشركة السابقة وكان ذلك التصرف مبهمًا بالنسبة لي، وطالما ألححت بالسؤال عليها أثناء إحدى زيارتها لي يوما قائلة:

- نادين، أنا لا أعرف ما السبب الذي دفعك لترك وظيفتك بعد إن أصبحت أقدم الموظفين بالشركة وأكفأهم على الإطلاق؟ (فبرغم نشاطها الملحوظ بالعمل والتزامها إلَّا أنَّها لم تنل حقها في الترقي طوال تلك الأعوام) أجابت: تعلمين كيف بدأ الكون بالصراع على البقاء وكيف طغت فكرة البقاء للأقوى.

- قلت: متعجبة من إجابتها تلك وما علاقة ذلك بعملك أنت؟

- قالت: الفكرة واحدة،كذلك الحال في كل العصور الماضي منها والآتى كي تحققي نجاحك وتثبتى ذاتك في مجال عملك فتصدمين

بما يسبب لك الإحباط.. حينما تكونين دينامو من الطاقة والحيوية، حينما تكون لديك ملكة الابتكار ليس مجرد موظف مقيد بميعاد حضور وانصراف وتأدية ما عليه من واجبات العمل اليومي بالشكل الروتيني المعتاد دون إبداع أو ابتكار أو تطوير لإحدى جوانبة... فتجدي من لا يرغب بعملك وإنجازك أن يرى النور.

****

حينما كنت أستمع إلى شكوى نادين مر بخيالى، نفسي المغلفة بالوحدة والأنين وتسائلت لما لا أبوح و أنفض عن قلبي تلك المرارة العالقة بجدرانة وقد بات منها سقيم... وجدتني أجيبها ألم يكفني ما لاقيت، وما جعلني أعرض عن الحديث والشكوى لأحد من العالمين... ممن قلبوا علينا الموازين فلم أجد سوى وابل من الهجوم والنقد والمبادرة بالاتهامات، وإلقاء المسؤلية كاملة على عاتقي وأنَّنِي سبب ما جرى ويجرى من أمور داخل القارة بأكملها وليس حياتي فحسب... وقد عموا وصموا أذانهم عن عبارات الألم والأوجاع...

ولم أحظى بإنصاف أحدهم.. فبعد الذي ولى من العمر من ذا يقف بما يدور بداخلي من صراعات، يواسي ذلك القلب الممزق، الصلد، وبقيت كلماتي حبيسة جدرانه كما ظل سجين ذاك الجسد المستكين...

٢

انتبهت على نغمة البيانو، وكنت وضعتها تنبيها لصوت جرس الباب, أنَّه موعد حضور (عم جمال اللبان)

كان عم جمال على نفس الحال من شرود الذهن تبدو على وجهه بعضًا من ملامح الأسى النابع من قصة حياته المؤلمة التي تفسر ذلك القول:

«ويأتي بعدنا قومٌ وقومٌ... يعيشونَ الحياةَ كما تراها...

يذوقون النعيمَ بها وَطْورًا ... يَذُوقون المرارةَ من أساها» (قول شاعر)

«لم أستطع تجاهل حالته فقد كانت تلك مأساته التي عرفتها يوما».

- قلت: ماذا بك لماذا أنت دومًا حزين؟

- أجابني مترددًا: أخشى أن تتأخري عن عملك بحكايتي.

- قلت على الفور لا عليك ما زال لدي متسع من الوقت, بدا حكايته بالحمد لله عطايا ربنا كلها خير.

ثمَّ أكمل وقد طغت على نبرات صوته آثار الألم والمرارة...

- لن أطيل عليكِ فأنَّنِي متزوج من ابنة عمي منذ عشرين عامًا, في البداية لم تكن العائلة بأكملها تبارك هذا الزواج، أو توافق عليه لما تجلبه زيجات الأقارب من مشاكل قد تؤدي إلى فساد العلاقات بين العائلة.

لكن عاطفتي القوية التي شعرت بها نحو (حياة) زوجتي ويقيني أنَّها تبادلني الحب والإحساس زاد من رغبتي للاحتفاظ بها و دفعنى لأن أبحر ضد التيار... فبات إيمانها بي وعشقها الذي يجتاح جسدي كالزلزال حافزًا لمواجهة العالم من أجلها.

«كم كنت أصغي لحديثه بانتباه وشغف فقد صارت قصته مشوقة ويبدو أن بها كم من الإثارة أو على الأقل حدثًا هامًا سوف ينتهي بي المطاف إلى معرفته في نهاية سرده لها»... فتركته على حالة من الاسترسال... قال:

****

تربينا سويًّا في «الدوار» أو منزل العائلة الكبير في الريف بيت جدي لأبي، كأنَّه (كمبوند) مصمم على شكل دائرة... مكون من عدة طوابق وقد جمع فيه أبناؤه وأزواجهم ... يحتل كل منهم أحد الطوابق... ثمَّ يجتمع الكل (بالحوش) الذي يتوسطها فتعقد المؤتمرات وتناقش أمور العائلة و تصدر الأحكام العرفية، نحيا معًا كأسرة واحدة، وكنت أنا الابن الأكبر لوالدي كمثلها...

كم تسابقنا إلى حقل الفراولة الى الذي أل لوالدينا عن أبيهما

مناصفة... كنا نذهب حاملين حقيبه الغذاء التي تعدها إحدى والداتنا يومًا بعد يوم بالتناوب عن بعضهما؛ لنقوم بتوصيلها إلى والدينا الذان يعملان بالحقل منذ شروق الشمس حتَّى غروبها... كنا نجري على طول الطريق مارين بتلك الأكوام من القش والتبن (وهو ما تهشم من سيقان القمح والشعير بعد دهسه ويستخدم كطعام للأغنام والأبقار التي تربى في المزرعة المجاورة لمنزلنا), كنا نعدو فوقها ونرمي بها بعضنا البعض لاهين سعداء متمنين ألا ينتهي بنا الطريق, غير مبالين بنصيحة الأم بإن نسرع كي لا يصل الطعام باردًا...

كنا نجلس على قارعة الحقل في موعد الري... نحفر بأظافرنا ونلعب بذلك (الطين) المبلل بالماء فقد كان لرائحته المميزة وقعًا جميلًا لأنفسنا معًا, كنا نجري خلف الفراشات ذات الألوان البراقة حيث تطير نظل نطاردها محاولين الإمساك بها فتقع على أحد الأزهار فألتقطها فتصرخ حياة قائلة: «بربك دعها تطير».

****

أي قدر من السعادة يسري بوجدانى وأنا أنصت إلى كلمات عم جمال... كم هو شيء رائع أن يكون لك ذلك الكم من الذكريات السارة التي ينبض القلب حين طوافها بالذاكرة يومًا ما.

كما كان يوم جني المحصول يمثل لنا عيدًا، كم تسابقنا فيمن يكون الأسرع ويجني الكم الأكبر من الفراولة، الا ان حياه حتَّى

هذه اللحظة لم تعلم بأنَّنِي كنت أضع الكثير مما أجنيه خلسة في القفص الخاص بها لتكون هي الفائزة في ذلك السباق وأصير أنا الفائز برؤية ضحكتها وسعادتها الغامرة. وأنا ألوح بذهني إلى قفص آخر ذهبي يجمعنى بها طوال العمر...

كانت أمهاتنا تقوم معًا بصناعة الخبز فقد كانت أمي بارعة في صنع (الخبز المصري والفطائر) في ذلك الفرن الصغير الذي قامت ببناؤه بنفسها ووضعت أعلاه قرصًا واسعًا مصنوعًا من الفخار على شكل دائرة، وصممت به فتحة من الأمام لوضع العجين لينضج حتَّى يصير خبزًا شهيًّا، وفتحة أخرى من الخلف للتهوية. أمَّا السقف فهو على شكل قبة...

كنت أرقبها وكأنَّها إحدى هؤلاء المهندسين البارعين ليس فقط في التصميم بل والتنفيذ على حد سواء... ويأتي دورنا في المساعدة بحمل الخبز الناضج إلى داخل الدار وإحكام غطاؤه ليبقى ساخنًا وكان أول رغيف طازج ساخن يصير مناصفة بيني أنا وحياة وقد وضعت أمى عليه قدرًا كبيراً من الزبد الذي ما يلبث أن يذوب من حرارته كمثل قلبي الصغير الذي طالما ذاب حبًا وهيامًا لابنة عمي حياة...

(اه... ليتها كانت طفولتي مشابهة لتلك الأيام الزاهية المتالقة المفعمة بالحيوية والبهجة، لم أندم على إعطاء عم جمال الفرصة لسرد حكايته فقد أصبحت لا أخشى التأخير عن العمل بل أن

رغبتي الآن ألَّا أذهب للعمل اليوم وأظل استمع لتلك الحكاية الرائعة) قطع شرودي سؤال عم جمال: هل كان لي أن أضحى بتلك الأيام وتلك المشاعر مهما كلفني الأمر؟؟ ثمَّ ما لبث إن أكمل دون أن ينتظر مني الرد:

(ومع إصرارنا اضطرت العائلة لإتمام الزواج نزولًا عند رغبتنا).

****

أعددت كوبًا من النسكافية بذاك اللبن الطازج مصحوبًا بقطعة واحدة من الباتية كان ذلك وجبة إفطارى خضوعًا لنظام (Diet) ريجيم قاسي قد نصحني به الطبيب تحديًّا لكم الدهون الذائد بالجسم ولكي لا أكون عرضة للإصابة بأمراض تصلب الشرايين أو ما نحوها إلَّا أنَّنِي أتبعه يومًا أو يومين في الأسبوع فقط وباقي الأيام اعتبرها free. أمَّا ابنتي فتختلف مواعيد استيقاظها وتناول الوجبات طبقًا لجداول السهر ولعب (PUBG) البابجي مع زملائها و التي يصلون بها الليل بالنهار وبين المذاكرة فى أوقات الفروغ منها...

****

أمَّا عادل، فيكتفي بكوبًا من الشاي باللبن صباحًا بحيث يكون ثلثي الكوب من الشاي والثلث الباقي من اللبن، يوم اِلتقينا لم نجد سوى (إيزيس) ذلك المطعم الذي فتح أبوابه باكرًا، فأنا مثله أعشق ذاك الطريق الخالي عندما تغلق المحلات أبوابها وتطفئ

أضواءها وتختفي السيارات والناقلات ويغيب الناس عن المكان, تسكت أصوات المارة وينقطع جدالهم, وقبل أن يعكر صفوة ضجيج وعادم السيارات وازدحامها, وتدافع الجمع بالطرق ومتاجر البيع.

عندما يطفو ذلك السكون على المكان فأي قدر من راحة النفس تشعرة حينئذ.

****

٣

«أتمنى الارتباط بك وإن يتم زواجنا سريعًا»... كانت هذه العبارة التي تفوه بها (وليد) البالغ من العمر ٣٦عامًا, لم تكن تلك المرة الأولى التي تدنو بمسمعي تلك الكلمات من ذلك الجيل.

جيل الثلاثينات هذا، لا ليس مقصدي مواليد (١٩٣٠) بل أعني من تتراوح أعمارهم بين ٣٦ إلى٤٠عامًا فأينما اِلتقيت بأحدهم على اختلاف مجال عمله أو نوع دراسته إلَّا وجدت فكرة واحدة تحتل عقولهم وهي الزواج بسيدة تتعدى ٤٥عامًا ولا حرج إن بلغت الخمسين, لا أدري تحت أي مسمى يمكن إدراج ذلك الفكر هل هي (ثقافة جيل, ظاهرة, ترند Trend).

قلت: ماذا؟ ألم تلتقي بي منذ أيام قلائل فكيف يكون ذلك؟

****

كان لقاءنا منذ ما يقرب من أسبوعين عندما دخلت مكتب كمبيوتر بحي (الزهور) وقد غطت المكان بأكمله أجهزة الكمبيوتر وآلات التصوير والطبعات على اختلاف أنواعها وأحجامها وتلك الأوراق المبعثرة والملقاة على منضدة موضوعة بإحدى الأركان يعلوها جهاز تكييف وعددًا من المراوح التي تم تشغيلها جميعًا فى آن

واحد ولم أكن أرى ضرورة لذلك...
وكنت أرغب بطباعة أوراق بحثية كتبت مضمونها من google والتي تتعلق بعملي، ولاحظت من بداية حديثي معه اهتمامًا كبيرًا من جانبة ورغبة ملحة في استخلاص معلومات عن حياتي الخاصة بكثرة توجيه الأسئلة والحوارات.

****

تكرر ذهابي إلى مكتبة وكنت أحضر معي بعضًا من (الكرواسون) و العصائر فهو يبدأ عمله مبكرًا كذلك الأمر بالنسبة لي فأحيانا أسرع بالخروج من بيتي بدون إتمام وجبة الإفطار عندما يكون هناك أمرًا هامًا أريد اِنجازه في وقت قصير... تناولنا معًا تلك الوجبة الخفيفة (فأنا اعتاد على مثل ذلك الفعل مع زملاء العمل حيث يأتي كل منا بنوعًا من الطعام بالإضافة إلى الشاي أو غيره من المشروبات الساخنة فنتناول إفطارنا معًا أثناء فترة الفسحة المدرسية (وهذا العمل يتعارض بشدة وبكل تأكيد مع نظام Diet وتكون عواقبة وخيمة)...

الفصل الثاني

وبينما كنت أسير متجهة لمكان عملي وقع بصري عليهما, كانت يداهما متشابكتان... فتارة تحتضن زراعه وتميل على كتفة فيقبل جبينها بحنان... وتارة أخرى يلتف بزراعيه حول خصرها يقربها إليه, يضمها لصدرة مداعبًا إياها, فتقفز على أطراف أصابعها لتتمكن من تقبيل لحيته. فلم تبلغ رأسها كتفيه بعد، فيضحك وتضحك بزهو وتفاخر, فيمسح بيده جبينها ليبعد شعرها الأسود الناعم عن عينيها،حينها، ورد إلى ذهني مقولة: «البنت ملكة أبيها».

****

اِنتابني شعور بالأسى وتسربت لداخلي غصة لحال قرة عيني اِبنتي (ميار) التي بلغت من العمر ثمانية عشر عامًا و لم تلقَ يومًا عطفًا أو حنانًا من والدها الذي اعتاد أن يعنفها بل ويتمادى في عقابها بالضرب لأبسط الأمور، وأحيانًا بدون سبب فقط لإيمانه بالقول الآخر المناقض:»اكسر للبنت ضلع... إلى آخر المثل الذي أكره أن أذكره أو أتفوه به».

لم تشعر ابنتي بحب الأب الفطري فقد باعدت سلوكياته تلك

بينهما وأحدثت فجوة وفراغ بداخل وجدانها لا يمكن لعطفي وحده أن يملاؤها، فلمْ يكتفِ بمبارزته بالبزيء من القول والاعتداءات المتكررة بألفاظ جارحة للشعور والكرامة، بل امتد الأمر إلى إساءة معاملة ابنتنا من فرط قسوته, بل غباؤه .

****

فلطالما أذاقني من مرارة الحرمان التي تجرعتها طوال ثمانية عشر عامًا هي عمر زواجي, حينما تحولت لغة الحوار بيننا إلى جمرات تكوي أضلعي, طالما حاولت التجاوز عن أخطائه... وإن أظلل ليالينا بغابات الحناء, أن أغزل من حناني بستان من الأزهار تنمو فيه أحلامنا وثمرة أيامنا, فلم يذده إلا خشونة وقسوة, وبالمقابل قطع بخنجرة كل شريان للمودة، ظل يلهث خلف جنونه وإهواءه دون قلب يشعر أو عقل يفقه...

****

فإذا انتابني البكاء وأدركني النحيب، وصرت هشه ضعيفة, أغلقت باب غرفتي حتَّى لا تعلم ابنتي بحالتي، كم كنت أبذل قصارى جهدي كي لا أقحمها في مأساتي، على النقيض من إصراره وتعمدة البالغين لإظهار جبروته وعناده علانية ليس فقط أمام ابنتنا بل وعلى مرأى ومسمع من الأقرباء أثناء زيارتهم.
أنَّه يتمتع بذاك القلب القاسي ويتلذذ بتعذيبي وتجريحي... إلَّا أن ذلك لم يكن ليجعلني استسلم لحزني فقد فاقت طاقتي

ومقدرتي على المقاومة كل توقع... فإذا بي استقيم وفي كل مرة أعاود البدء من جديد... إلى إن صرت (كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف), فإن استطعت أن أكون من الكاظمين الغيظ فأنِّي لى أن أكون من العافين عن الناس أو أولئك المحسنين...

****

لم أكن بحاجة لأن أصل للمدرسة مبكرًا أكثر من اليوم، ذلك المكان المختلف بتصميمه عن الشكل المعتاد لتصميم المدارس، قيل أنَّه مبنى ينتمي لعصر قديم تاريخي وأنه تابع لهيئه الآثار.
وهذا ما يبدو لعينيك من النظرة الأولى حيث تكسو الأشجار العالية الضخمة فناؤه... وهو مشيد بالأحجارالقديمة، والأعمدة المتفاوتة طولًا وعرضًا، وهوعبارة عن ثلاثة مباني رئيسية على شكل حرف«U» باللغة الإنجليزية يتكون من ثلاثة طوابق.
ملحق به مبنى فرعي من جزأين يشتمل على سلمًا مؤدي إلى الخارج كما تشتمل حجراته على شرفات تطل على فناء آخر فسيح ونوافذ طولية ممتدة على طول الحوائط مستطيلة الشكل، ويوجد أسفل المبنى سرداب به العديد من الحجرات والطرقات إذا سرت به شعرت كأنك داخل مقبرة فرعونية عريقة.

****

فقد أعددت لزيارة مدرسة «الأبطال الثانوية» وكان ذلك جزءًا من خطة المنهج لهذا الشهر. وتأتي الزيارة في شكل احتفالية

صغيرة تهدف لتبادل المعلومات بين المدرستين... نبدأ فقراتها بعمل إذاعة مدرسية من جانب الطالبات باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية، والتي تضم أسئلة منهجية تقيس مستوى الطلاب... يتخللها بعض الألغاز والطرائف والمحادثات كما يتم اِستضافة أحد المعلمين والتعرف على شخصيته وميوله من خلال أسئلة حوارية ممتعة تتسم بالمرح والفكاهة.

****

وقد شملت المسابقات الدراسية من أوائل الطلبة وتولي الآخرون بدورهم مهمة إلقاء الشعر واستعراض مواهبهم التمثيلية بمسرح المدرسة وأداء مسرحية هادفة تم الإعداد لها من جانب مسؤلي الصحافة والمسرح بالمدرستين... كما يتم عقد مباراة رياضية من كرة القدم والسلة بين المعلمين وندوات ثقافية ودينية التي استدعى لها أحد أساتذة الجامعة، توزع الوجبات والعصائر على جميع الموجودين كما توزع الهدايا على الزائرين. عقب نهاية اليوم الدراسي، ليته معي الآن..!!!

****

لقد أثارت نظراته المتلاحقة المطاردة انتباهي عندما دخلت أحد الفصول لإجراء انتخابات مجلس أمناء الفصل والمكتب التنفيذي فلم يترك (عادل) الفصل ويخرج كما يفعل آخرون بل ظل يساعدني في العمل بينما كانت عيناه ترقب نظراتي، التفاتاتي،

تعبيرات وجهي، الطريقة التي أدير بها حواري مع الطلبة... لم ألتفت إليه إلَّا أنَّنِي شعرت في لحظتها بشيء يدور بوجداني مارًا بشفتي ليطبع عليها ابتسامة لمْ أعهدها من قبل.

****

مر يومان وإذا به يدخل حجرتنا ويطلب نصيحتي في أمر (آلاء) وهي إحدى الطالبات جاء يسألني كيف يتعامل معها فكان من شأنها ألَّا تكف بصرها عن ملاحقته طوال مدة شرح الدرس سارحة تحاول الاقتراب منه بشتى الطرق... تختلق الأسباب كي تدخل حجرة اللغة الإنجليزية لتراه وتحاكيه, فتدعي عدم فهمها لدرس ما وتطلب منه إعادة الشرح لها بمفردها وحين ذلك تراها أمسكت بيده وقبلتها...

****

ابتسمت بعد سماعي شكوته وعلقت بتلك الكلمات, هذه المرحله من العمر كما سبق أن درستها في علم النفس تسمى مرحلة المراهقة وهي مرحلة التأهب للوصول إلى النضج المتكامل في جميع المظاهر النمائية (ومن الطبيعي أن تشعر فيها البنت بعاطفة تجاة معلمها فتجد فيه فارس الأحلام، وليس ذلك شأن البنت فقط بل الولد على حد سواء، أعني أن يوجه شعوره تجاه معلمته)...

تلك المرحلة التي تتوسط الطفولة والرشد وتحمل آثار جانبية

قسريَّة للذكر والأنثى، فهو يعيش مرحلة تقلب نتيجة عملية البلوغ, وتتمثل سلوكياته في عدة جوانب منها, (التذبذب الانفعالى, الحب, العناد) يتعرض الفرد لتغيرات نفسية وبيئية ذات تأثير أمَّا سلبًا أو إيجابًا على الجانب النفسي له.
ولكي نتجنب خروجة من تلك المرحلة بشخصية عدوانية مصحوبة بالاضطرابات السلوكية إذا تمت معاملته بعنف, فيجب الأخذ في الاعتبار خصائصه النمائية وتأثيرها على توافقه مع المجتمع...
قدمت له النصيحة بالتعامل بحكمة وعدم التصادم أو استخدام العنف بل الاحتواء، والأفضل هو اتباع نفس أسلوبه المعتاد مع جميع الطالبات.

****

استقليت أحد الأتوبيسات من محطة قريبة من شقتي, كان مزدحمًا كعادته مما جعل أحد الطلاب وهو في عمر ابنتي يقف بجواري تاركًا مقعده، ويطلب مني الجلوس بمكانه... شكرته وجلست فأنا لا أحفظ توازني أثناء سير الأتوبيس مطلقًا حتَّى وإن استندت بظهري لإحدى المقاعد، أو تشبست بتلك الألواح المعدنية الواصلة بينه وبين سقف الأتوبيس...
الذي بدوره توقف فجأة قبل أن يصل لأى من المحطات, اِنتابني قلق بأن يكون قد اصطدم بفرع شجرة كما حدث أمام ناظري صباحًا, من أتوبيس إحدى المدارس الذي يقل الطلاب الساكنين

بجوار منزلي والذي نتج عنه كسر المرأة, (وقد غرست تلك الشجرة وغيرها في الرصيف الذي يقسم الطريق إلى اتجاهين ذهابًا وعودة لكنها كانت متناثرة الأفرع ولم يتم تهذيبها منذ وقت طويل)...
لكن ما حدث كان مخالفًا لاعتقادي... فقد اعترضت طريقه سيارة ملاكي حديثة ماركة Mazda ٣سوداء اللون، وقد حاول مالكها الانحراف عن الطريق واتخاذ دوران مختصر والعبور فيه إلَّا أن ذلك الأخير لم يكن ممهدًا لمرور السيارات به, وتملؤه رمال عميقة.
وأعتقد مالك السيارة خطأ أنَّه سوف يتخطاها لكن عمقها كان كفيلًا لأن تغوص بداخله ليس فقط الإقدام بل والسيارات كذلك وهذا ما حدث بالفعل.

****

كنت أرقب المشهد وأنا أستند بذراعي لأحد منافذ الأتوبيس وقد أزحت ستارته التي لم يختلف لونها كثيرًا عن تل الرمل الذي أراه الآن والذي خيل إليَّ وكأنَّه بحر الرمال الأعظم الواقع في جنوب الصحراء الغربية الممتد بمحاذاة الحدود المصرية الليبية ما بين الجولف الكبير وواحة سيوة (كنت أُحملق بشدة وكأنني أخشى أن تبتلع الأرض السيارة والمحيطين بها كما حدث إن رأيت ذلك المشهد بأحد الأفلام المصريه من قبل)....
وهو منطقة كثبان رملية واسعة تتكون من ثلاث بحار رملية

عرضه ٢٠٠متر تتكون من طبقات من الرمال المتحركة فوق طبقة من الجير الناعم أسفلها كمية كبيرة من المياة الجوفية وذلك ما يفسرحدوث ظواهر تحرك رماله كموج البحر... وأعلم أن السلطات المصرية تحظر المرور بها لما شهدته تلك المنطقة من حالات الاختفاء المتكررة...

****

أزحت الستارة جانبًا كي تتضح الرؤى, حينها تبدل إحساسي الأول لما رأيت وكان بمثابة لوحة فنية رائعة التفاصيل والملامح. بألوان حية نابضة، الجميع يمد يد العون، لمن يعرفة أو من تقع عينيه عليه لأول مرة... من يدفع بنفسه لإنقاذ أحدًا كلما تطلب منه الموقف دون طلب المساعدة... كم أنَّنَا شعب ودود يتصف بالطابع الاجتماعي والمودة والإيثار، لم يبالِ أحدهم بالتأخير عن عمله وموقف المدير منه كما سيطر على تفكيري الآن.

فبمجرد وصولي للمدرسة تبادرني المديرة بمشكلات لا تحصى, مسندة إلى البحث فيها, وإيجاد الحل, وكتابة تقرير لما حدث مع الطلاب، وما تم اتخاذه من إجراء، وما انتهى إليه الموضوع بالكامل.

نزل السائق والراكبين من الشبان جميعهم مهرولين إليه... كما توقفت العديد من السيارات الأخرى عابرة الطريق... قد اتخذت جانبًا منه ونزل من بها, وبدأ البعض في إزاحة الرمال بيديه من

حول العجلة اليمنى, ووضع الآخر قطعة من الخشب وجدها بجانب الطريق, أسفل العجلة اليسرى وبدأ يضغط عليها لرفعها من الاتجاه الأمامي... وقام أخر بتدوير المحرك وتشغيل السيارة كي تنتفض من وضعها تحت الرمال, وفي خلال دقائق قليلة تحركت السيارة تاركة خلفها عاصفة قوية من الرمال فور صعودها إلى سطح الأرض قد حجبت الرؤيا عن عيني للحظات وتم إنقاذ السيارة بل صاحبها من ذلك الموقف العصيب...

****

كانت (عزة) جالسة بجوار النافذة بداخل حجرة المكتب الخاصة بنا فقد جمعتنا تلك المهمة الشاقة و نفس العمل... رأيتها باكية فأسرعت إليها وضعت يدي على كتفها وجلست بالمقعد المجاور لها وأسرعت بسؤالي ما بك ولماذا تبكين؟؟

- قالت على الفور: يرانى أبنائى (أمًا) متسلطة مستبدة بالرأى أفرض رأي عليهم في أمور هامة تخص مستقبلهم العلمي الذي يبني عليه المستقبل العملي والحياة العملية بصفة عامة...

- قلت ما سبب ذلك؟ أجابت وهي تجفف دموع عينيها في الحقيقة أنا لا أتدخل في شؤؤنهم إلَّا في وقت ينذر بالخطر، حدث ذلك في اختيار نوع الدراسة الجامعية، (هل وصل الأبناء لذلك الحد الذي لا يقدرون حكمة الآباء ولا يرغبون بنصيحتهم, أردت النطق بتلك الكلمات ولكنِّي أسررتها في نفسي).

****

- أكملت مستوضحة: في وقت تقتضيه الضرورة، ففي مراحل فاصلة وهامة من حياتهم وجدتهم لم يضعوا هدفًا محددًا يسعوا لتحقيقه ببذل الجهد... فإذا أراد أحدهم أن يصبح مهندسًا فإن ذلك الهدف يدفعه للاجتهاد والجد والمثابرة وسهر الليالي أمَّا (إن قال لا أعرف ماذا أريد أن أكون) رغم حصوله على أعلى الدرجات فهذا نذير خطر على الأبناء, قلت معك كل الحق...

فإن يكن الابن ذو عقلية متميزة وذكاء حاد يصير لزامًا عليك توجيهه لأحسن الأماكن التي تناسبة. فهذا النوع من الشخصية مع الآسف لا يدرك قيمة قدراته ولا يعطي لنفسه حجمها الحقيقي. (ولا أتكلم هنا عن المستوى المتوسط أو محدودي الذكاء فلهؤلاء اعتبارات وشأن أخر). وأضفت أنَّه من واجبنا توجيههم وتوضيح أمور أخرى يمر بها مجرى حياتهم ليس فقط ما يخص مجال الدراسة فنحن آباء...

أكملت عزة ولأني على يقين بالمستوى التحصيلي والعقلي المتميز لهم... أقوم بدفعهم لإحدى (كليات القمة) وأنا واثقة من قدرتهم على اجتيازها بنجاح متميز وتقدير مرتفع وهذا ما يحدث بالفعل فما يلبث أحدهم أن يجد فيها ذاته فيسعد بها, يصبر على مشاقها كلما بدا واضحًا له قدرته على تحقيق ذلك الهدف...

- أضفت: ثمَّ لا يشعر أحدهم بمن كان صاحب الفضل في بلوغه

هذا المكان, لا ترهقي نفسك حبيبتي فنحن أصحاب رسالة وعلينا تأديتها على أكمل وجه...

****

٤

لماذا كنت تجلسين مع زميلك بالمعمل بعد اِنتهاء الحصة وخروج المعلم؟

- مريم: أنا... لا لم أجلس, أنا عدت لفصلي بسرعة فور سماع الجرس

لا تحاولي الكذب لقد رأتك هاجر وزميلات أخريات.

- لا... هاجر كانت تجلس مع أدهم وعندما هددت بأن أبلغ المشرفة ادعت هي أنَّها رأتني مع تامر.

- استدعيت هاجر وأدهم وتامر جميعهم لمكتبي.

- تامر وما سبب جلوسك مع زميلتك منفردين بعد انتهاء الحصة وخروج المعلم؟

- لم يحدث, ورغم الإنكار إلَّا أن القلق قد ارتسم على ملامحهم جميعًا.

بدا لي الأمر أنَّه ليس مجرد لهوًا أو عبثًا، سادت لحظات من الصمت تبادل الجميع خلالها نظرات الحيرة والخوف.

- قطعت الصمت بصوت هادئ قائلة: أن لم تصدقوا القول

سأستصدر أمرًا من مديرة المدرسة بفصلكم جميعًا لسوء الخلق...
- صاحت مريم لا... أنَّنَا «متزوجين عرفيا» ولسنا متصاحبين كما يفعل اخرون...
نزلت تلك الكلمات على رأسي كالصاعقة... حاولت التماسك كي لا يفقدني غضبي إمكانية السيطرة على نفسي أمام هؤلاء الأشقياء...
- أريد التوضيح أكثر... قال تامر: أنا ومريم, وأدهم وهاجر.
- سألت بهدوء مصطنع يخفي وراءة نيران قد اشتعلت بداخلي: كيف تم ذلك؟
- أوضح تامر قائلًا: نكتب إقرارًا بالزواج ونوقع عليه نحن الاثنين ويوقع لنا الزملاء كشهود ثمَّ نتبادل الأدوار ونكون نحن شهداء على زواجهم...
- قلت: هل عرض أحدكم على أسرته أو والديه ذلك الأمر؟ أجابوا جميعًا: لا طبعًا...
- ولم لا؟ قالوا لم تكن لدينا الجرأة لذلك.
أي حماقة ارتكبها هؤلاء المراهقين!
(لم تكن لديهم الجرأة للوقوف أمام الوالدين ثمَّ يقدموا على ذلك الفعل... دون التفكير بالعواقب... أي تفكير! وهل ورد بذهن أحدهم جثامة الأمر من الأساس بالتأكيد أن تلك السمة خاضعة لمن له عقل يتدبر, لمن يدرك خطورة الأمر ونواتجة, لمن يحسب الخطأ ويقدر حجم العمل قبل الإقدام عليه).

****

فضلت أن التقي بالشباب بمفردهم ليجري بيننا هذا الحوار:
- قلت محاولة استنباط ما تسول له نفس كل منهم وإلى أي مدى سيقودهم هذا الفعل الغير مسؤول إذن يمكننا تدارك الأمر بتعديل تلك الورقة العرفية إلى قسيمة زواج شرعي.
- قال أدهم : كيف يكون ذلك؟ من المؤكد أن لديك من الخبرة ما يجعلك تتفهمين أن الرجل لا يتزوج النساء اللاتي يعاشرهن... (لا تعليق) وما تلك الجرأة ونبرة التحدي التي تنطق بها كلماته؟
- وكان لتامر رأيًّا مناقضا حين توجه ببصرة إلى أدهم وقال متهجمًا: ماذا دهاك وكيف تتفوه بتلك الكلمات الجارحة؟
ثمَّ عاود النظر إلى وبدت على وجهه علامات مختلطة من الجد والغضب...
- وقال: صدقينى يا أستاذة (سلوى) إن حبي لمريم صادقًا فأنا لست طفلًا أنا أتحمل المسؤلية كاملة وسأتم زواجي بها بكل الأحوال... قلت أنت تحب مريم لأنَّها ثرية!
- قال أنا أرى ثرائها من جانب يختلف تمامًا أستاذتي عن المعنى الذي تقصدينه فهي ثرية الأخلاق والشيم...

****

ما زلت أدقق النظر بوجه تامر وأتابع حديثة باهتمام... وفجأة تغيرت ملامحة لينبعث من عينية شيء من الألم والحزن, جلس

على المقعد المجاور لي كان يفرك يدية حينًا ويشبكهما حينًا أخر ثمَّ قال: أنا أكن التقدير والاحترام لمريم فهي لم تفعل ذلك الشيء إلا لأجلي أنا ألححت عليها في أمر الزواج بهذه الطريقة هي أحست بوجعي وشكوتي فلم ترغب أن تزيد من همي فإن والدي يعتبرني طفلًا يتدخل في جميع أموري الخاصة.
اختيار ملابسي وألوانها، اختيار أصدقائي... الكتب التى أقرأها... مواعيد خروجي وعودتى للمنزل, كما أنَّه لا يتيح لي الفرصة لإشاركة الرأي في أي مشكلة, أو أي عمل على الإطلاق ولا يقتنع برأي أو يعترف أنِّي أصيب يومًا، فهو يرى جميع أفعالي خاطئة ويجب أن أتصرف في الأمور بالنظرة التي يراها هو من وجهة نظرة هو وحده، لقد أصبحت أسيرًا وحيدًا اختنق بل أموت في اليوم مائة مرة...
لم أشأ مقاطعة حديثة وأحسست أن من الأفضل أن استمع له حتَّى ينتهي,
وأكمل, أنا أعمل بعد انتهاء اليوم الدراسي وأتقاضى راتبًا ولن أتخلى أبدًا عن مريم وسأفعل المستحيل لأفوز بها زوجة شرعية.
وألح على سؤال عن والدته ودورها في ذلك الأمر. إلَّا أنَّه بات واضحًا لي من عدم ذكرة لها أنَّها تنتمى لنوعية تلك الأمهات المستكينة المستسلمة فلمْ يكنْ لها شأن في تربية أبنائها أو توجيههم أو الاعتراض على سلوك الأب تجاههم.

****

الفصل الثالث

كان حبه شيئًا فريدًا نادرًا ما يحدث، أراه يلون أشياؤه وجدران منزله بأكثر الألوان حبًا لي. وقد أضفى على أيامى ألوانًا من السعادة والهناء. تراني عينيه أجمل النساء وأبهاها على الإطلاق، يريدني أن أضع مستحضرات التجميل كي أضفي عليها من سحري وأزيدها تألقًا وبريقًا، ما ألطف شعوره وكلماته، طالما أغمضت جفوني كي أرى صورته تملاهما في صحوي ومنامي في يقظتي وأحلامي.

****

- قلت: نادين، لكنى ما زلت لا أفهم السبب وراء تركك العمل.
اِتكأت على زراع جانبي للأريكة واضعة إحدى مساندها الصغيرة فوق أرجلها, ثمَّ....
- أكملت قائلة: أنَّنِي أشعر بفزع يسري بكياني كلما اِستعدت بذاكرتي تلك الفترة وما تحتويه من الضغوط النفسية... فلا يمكنى استكمال عملي تحت ضغط... كما أنِّي لا أرغب بالتصادم مع أحد وليس لي تطلعات لمراكز معينة يطمح إليها آخرون بل ويتصارعون من أجل الوصول إليها... قلت ومن الذي يمارس عليك

تلك الضغوط اليومية وماذا تكون سلطته بالنسبة لك؟
- قالت موضحة : الأستاذ سالم... وهو مديري المباشر فأنَّه يسعى لتحقيق مصلحته الخاصة غير مبالي بالعمل ذاته مما يجعله يستخدم كل السبل ليحول دون وصول عمل يحمل اسمي للمدير العام فتأتي أفعاله برهانًا مؤكدًا على ذلك. سألت كيف؟
- قالت أنَّه يخفي مستندات خاصة بي أو ينسب عملًا قيمًا قد سهرت الليالي لاتمه لأحد غيري أو محو اسمي من التقارير وكتابة أسماء بعض المقربين لديه والذين تتقارب مصالحهم و يجلبون له الهدايا وما شابه ذلك...
- كما أنَّه لا يبلغني بميعاد الاجتماعات الهامة ويسند إلى أعمالٍ أخرى كي يقصيني ويشغلني وليبين للمدير وآخرين عدم مبالاتي بالاجتماع وكثيراً من تلك الأمور السوداوية التي لا يمكن كشفها بسهولة...
- فهل لا يمكنك توضيح جهودك أو الوصول لذلك المدير العام بأي حجة؟
- قالت: في كل يوم أحاول جاهدة لإثبات وجودي بالتركيز في العمل وإنجاز الكثير منه إلَّا أن تضيع جهودى إدراج الرياح... رياح المحسوبية والرشوة.
- تساءلت ولماذا يتعمد مضايقتك؟ قالت: أنَّه يخاف من أي موظف لديه خبرة... وسبقة بالعمل في الشركة ويتوقع تفوقه

عليه في كل وقت.

- أكملت محاولة أن أصل معها لحل مرضي نادين: لماذا لا تتواصلين مع زملاء العمل بشكل جيد وقتها ستعرفين كل تفاصيل الاجتماعات ولقاءات المسؤلين وغيرها من شؤون العمل.

- أجابت بنبرة تعلوها حسرة ويأس: أنا على صلة جيدة بالجميع وهم بالطبع على دراية بموقفي ويشيدون بعملي وأحقيتي بالترقية إلَّا أنَّهم يخشون التعرض لمثل موقفي.

بالإضافة إلى أنَّنِي لم أحصل على رد فعل مطمئن فجميعهم أذان صاغية وعقول تابعة ومنفذة فقط لما يعطية سيادته من أوامر تتعلق بالعمل والموظفين على حد سواء ثم أن أحدهم لا يرغب فى أن يوضع اسمة في «Black list» القائمة السوداء لدى المدير العام بسببي.

فقد باتوا يعرفون التأثير القوي لسحر كلمات (الأستاذ سالم) عليه شخصيًّا, فماذا إذا تآمر عليك البعض من الزملاء وأصبحوا يدًا واحدة متضامنين مع المدير ضدك فتجدي نفسك تعملين على (ترويض وحوش)، وليس معاملة أناس أو بشر؛ كي تتخطي مؤامراتهم بسلام، وتصبح لغتهم أمامك (الهمز واللمز والنظرات الممتلئة بالمكر والدهاء) يفتعلون المشاحنات ليستفزونك ويوقعون بك حتَّى إذا انفعلت أو ثورتي ضد أحدهم وقفوا منصفين لبعضهم متكاتفين ضدك.

- ما أسوأها من مواقف ومعاملات, ماذا فعلت إذن؟
- قالت: حينما تمكنت من الدخول لمكتب المدير العام ولا أنكر عليك مدى الصعوبات التي واجهتني لا تمكن من ذلك حيث أعطي رئيسي المباشر أوامر قد تتسم بالمودة أو المصلحة المشتركة لموظفي مكتب السكرتارية بعدم السماح لي بمقابلة سيادته.
علمًا بأن الأخير على غير علم بما يجري خارج مكتبه لا أعرف إلى أي جانب يمكن أن تنسب, إلَّا أن ذلك ما تمَّ إجراؤه معي وكم لاحظت الإيماءات والإشارات بينهم وأنا جالسة ما يقرب من الثلاث ساعات بانتظار دوري الذى لم يأتِ مطلقًا لكثرة الأعذار التي تلقيتها من جانبهم.
لكنك قابلتية بالفعل فكيف تمَّ ذلك ألم يكن من خلال مكتب السكرتارية تلك المرة؟
- من الطبيعي أن أمر بمكتبهم كي أصل لحجرته لكن الطريقة هي التي اختلفت.
- كيف؟
- طلبت من أحد الزملاء رقم هاتف المدير العام واتصلت به لأعرض شكوتي
- فماذا كان رده؟

****

قبلت دعوت وليد على فنجان من القهوة الذي تمتاز به (قهوة المستكاوي) القريبة من مكتبه,

فقط يتطلب الأمر منه أن يعبر الطريق، طلب لي قهوة بالبندق, وجدته يتطرق بالحديث إلى حياته الخاصة، ظل يحكي عن أشياء وأحداث ماضية ما زال لها أثرًا بالغًا في حياته. وعن أعمال ومشروعات يرغب برأي فيها...

- أنصت إليه كما لو كان أحد طلبة المدرسة يطلب نصيحتي تجاه أمر ما وأبديت رأي بصراحة... يبدو أن طبيعة عملي باتت قوية التأثير على معاملاتي مع الآخرين.... أو أنِّي اعتبرته حالة تحتاج المساعدة وإيجاد الحلول كما اعتدت... هذا من وجهة نظري... أمَّا عنه فمن الواضح أن الخيال قد لعب دوره وآثار بداخله شعور ذو طابع آخر لم يخطر ببالي مطلقًا...

****

- قال: أن أقول أنِّي أحببتك فهل تكذبينى؟، وجدت فيك العقل والتروي. وجدت فيكِ عطاء أم وروح فتاة العشرين، وجدت صدقك وشفافيتك، خبرتك في الحياة معاملتك الممزوجة بالحنان والحكمة... لن أتطرق لجاذبيتك وملامحك الرقيقة الناعمة وقوامك الرائع كي لا تلقى على اِتهامك بأنِّي أغازلك...

- قلت: (وقد تعمدت تجاهل عبارته الأخيرة كي لا يتمادى بالوصف ذاته فلا يروق لي سماع تلك الأقوال المأثورة لدى عامة الرجال

الذين يعتقدون خطأ أنَّها العبارات التي يديرون بها عقل النساء متجاهلين ذكائهن وثقتهن بأنفسهن التي لا يزعزعها نوع الكلام الذي يصف ذاك الحسن والجمال إن كان بالإيجاب أو بالسلب ولا يغير من موقفي ومبدأي طرفة عين).

ولك أن تجد أكثر من ذلك في فتاة العشرين فمن الأفضل ألَّا تتخطى عمرك وأن تحياه كما يتطلبه منك... تعيش أوقاتك بين الجد والمرح بين الحكمة والتهور فذلك أفضل بكثير مما ترغب في عمله...

إن اختلاف الأجيال حتمًا يؤدي إلى مشكلات فيما بعد.

وأكملت محاولة إقناعة وإقصاء تلك الفكرة عنه, أنِّي لست إحدى النساء من ذوى الجاه أو الترف الذي يجذب شاب في مثل عمرك، ويجعله يقبل على الزواج منها...

رد غاضبًا: أنا لا أحتاج للمال, تلك نظرة محدودة للأمور ولولا أنَّك عزيزة على قلبي لم أكن أحادثك أبدًا، لكن ببساطة ما جذبني لك هو ما تتمتعين به من القدرة على الاحتواء، والتسامح بالإضافة إلى ما تتحلى به من في مثل عمرك من النضوج والخبرة...

****

نعم صدق وليد فما أحويه من الخبرة هو ما جعلني أتفهم ما تشير إليه تلك الكلمات الأخيرة من معاني ومقاصد ضمنية لم يبوح بها بشكل مباشر وصريح، تساءلت وعادة ما ألوم نفسي

فأنا إحدى أولئك الذين كثيراً ما يلوموا أنفسهم ويحاسبونها على صغائر الأمور.

هل من ذنب اقترفته يداي؟ هل صدر عني شيئًا عفويًّا جعله يفكر بي بهذه الطريقة؟...

- قلت بلهجة حتمية قاطعة: أن لي مبدأ أحيا به ولا أستطيع تغييره عذرًا فأنا لا يمكنني قبول تلك الفكرة رغم ما يجري حولي من أمور وما يحكي عن تزاوج من هي أكبر مني سنًّا بمن يصغرها بعشرين عامًا, كيف أضع نفسي في تلك المواقف التي أراها غير مقبوله, والتي يستنكرها المجتمع لكلا الطرفين ويفسرها بإنَّها إمَّا استغلال من المرأة لشباب الرجل أو من الشاب لثراءها أو مكانتها الاجتماعية...

لن أكون مثلهم فأنا نفسي وكفى.... أكملت عبارتي تلك وأنا أشعر بعقدة الذنب تجتاحني توشك أن تطرح جسدي أرضًا فلا يمكنني النهوض وأنا أتسائل لماذا حدثته... لماذا قبلت دعوته لماذا اخترت مكتبة لأداء أعمالي؟ لماذا ألقى بي القدر في طريقه وبيننا تلك الاختلافات العميقة؟

****

كان موضوع (الزواج العرفي) جديدًا وغريبًا بالنسبة للمشكلات التي اِعتدت إيجاد الحلول لها والتغلب عليها... لست أنا صاحبة القرار رغم ما أتمتع به من الحكمة في التصرف ومعالجة الأمور

إلَّا أن انتابتني الحيرة في ذلك الأمر ماذا في وسعى أن أفعل؟
لابد من اِتخاذ إجراء حاسم وعاجل كي لا يتفشى الأمر بالمدرسة بأكملها ويصير Trend (ترند) كما يسميه هذا الجيل ومثلًا يحتذى به غيرهم من الزملاء داخل أسوار المدرسة أو خارجها بمدارس أخرى مشتركة وفي نفس المرحلة من العمر، لابد من القضاء نهائيًّا على تلك الظاهرة التي تنذر بالخطر, ولا بد أن يكون الإجراء نابعًا من أسرهم وولاة أمرهم جميعًا.
قررت إجراء مكالمة هاتفية لأسرهم وقمت بتحديد موعدًا لزيارة كل منهم على حده...

****

وفي طريقي لمنزل هاجر:
كان الجو ممطرًا،كمثل ذلك اليوم حين مر بي عادل بسيارته مسرعًا وقال: اِركبي بسرعة سأجعلك تشاهدين شيئًا كثيرًا ما تحبي رؤيته, ركبت السيارة دون سؤال فأنا أعرف أنَّنِي مهما ألححت بالسؤال فإنه لا يبوح أبدًا بمفاجأة قد أعدها من أجلي وكان ذلك يحدث كثيرًا فمن ترتبط بإنسان مثل عادل لا بد وأن تتوقع في كل يوم مفاجأة جديدة...

****

وقف (عادل) تحت السماء الممطرة وأشار بيده... ما أروعها من ألوان! وما أجمله من منظر! فقد صدق حدسة فأنَّنِي أنتظر ذلك

التوقيت من كل عام بشغفٍ كي أشاهد تلك الظاهرة الطبيعية.
(قوس قزح) الذي يحتضن الطريق من الجانبين بدأنا نعد ألوان الطيف فلم نحصَ منها إلَّا خمسة سألت بحذرٍ عن باقى الألوان التي لا أراها أمام عيني وكنت أتوقع الرد فهو لا يبخل بمعلومة ألم بها يومًا بل ويفرط في الاسترسال فيها؛ لأنه كثير الاطلاع والثقافة لا يفوت فرصة دون أن يخبرني بأحد معلوماته المتنوعة المثمرة بل وأحيانا بالمصدر الذي حصل منه عليها **

- قلت: أنا لا أرى بقية الألوان السبعة أعتقد أنَّها باهتة حتَّى اِختبأت وضاعت في الغيوم والسحب القاتمة التي كست السماء من حولها...

- قال عادل: إنَّه يسمى قوس المطر أيضًا وهو ظاهرة فيزيائية طبيعية تنتج من اِنكسار الضوء الصادر عن أشعة الشمس وتحلله خلال قطرات المطر العالقة بالجو فيظهر الطيف بالألوان السبعة بعد أو أثناء سقوط المطر بوجود أشعة الشمس...

- قلت أنا لا أعرف بعض ألوانه أعرف فقط: (أحمر, برتقالى, أصفر, أخضر, أزرق) قال لقد تدرجتي بالطول الموجي من الأطول إلى الأصغر كما يحدث بالفعل.

- قلت حقًا؟ فما باقي الألوان إذن؟ قال: الأزرق النيلي والبنفسجي فيظهر الأحمر من الخارج والبنفسجي من داخل القوس... (لم يكتفي بالطبع بذلك التفسير بل أضاف) ومن أهم المصطلحات

التي تندرج تحت مفهوم الطيف هو الطيف الكهرومغناطيسي وهو المفهوم الشامل له وهومجموعة موجات كهرومغناطيسية تضم عدد من الأشعة منها الأشعة تحت الحمراء والضوء المرئي والأشعة فوق البنفسجية...

لم يفسد على شرح عادل التفصيلي متعتي بالنظر لتلك الظاهرة لأنَّنِي كثيرة الشغف بالأمور الكونية والفضاء والفلك...

ورغم أنَّنِي أسير في الجو ذاته اليوم إلَّا أن عيناي لم تصادف أحدهما. أين توارت ألوان الطيف بل أين عادل الآن؟؟

****

شارع سعد زغلول عمارة ٦ الطابق الثالث، هنا تسكن هاجر فتحت الباب طفلة صغيرة بحجم القلم الرصاص لا أدري كيف وصلت إلى المقبض... مبتسمة مليئة بالحيوية والنشاط وهي كثيرة الشبة بهاجر فتلك الأخيرة قصيرة القامة, بيضاء الوجه، عينان عسليتان، وشعر قصير يكاد يتصل بكتفيها، كذلك سألتها أين والدتك؟ قالت بصوت رفيع يشبة الجرس، تنتظرك بحجرة الجلوس، وجذبتني من طرف (الجيب) التي اِرتديها فسرت خلفها حيث التقيت بالأم.

يبدو علي وجهها علامات تقدم السن مختلطًا بالقليل من التعب، أو الأوجاع, حيتني وطلبت من عقلة الأصبع هذه أن تحضر لي (زجاجة بيبسي) مثلجة فجرت مسرعة لتنفيذ الأمر...

- قلت هذه أصغر أبناءك؟
- قالت: إن لي أربعة من البنات وهذه (رنا) أصغرهن...
وهذا هو سبب تباعد زوجي عني منذ سنوات.
(مازالت مشكلة كل العصور القاصي منها والداني إن لم تنجب زوجتك الولد الذي يحمل اسمك ويصير ذكرى من بعد وفاتك... تصبح بمثابة وصمة على الجبين وتحتم الضرورة البعد عنها والزواج بغيرها على الفور) سألت هل تم الطلاق بينكما منذ تلك السنوات؟
- قالت: لا نحن ما زلنا أزواج.
- سألت فماذا يعني انفصالكما؟
- أجابت بشيء من الحسرة: والده هو من أراد ذلك فقد أمره بالزواج من أخرى
ربما تلد له(سلة من الذكور) فتركني وبناتى, وذهب إلى حيث شاء والده ولم نلتقَ حتَّى الآن.
- وأنت ألم ترغبين بالطلاق؟
- قالت: لا, لا يعنيني ذلك فأنا أحيا من أجل بناتي.
لم أشأ أن أكون فضولية أكثر فلم أتطرق لأمورمادية للأسرة فبدأ لي واضحًا أن الأمور تسير على ما يرام من ذلك الجانب....
تحتم على أن أسال عن هاجر الابنة الكبرى (فعادة ما يقع تأثير مشاكل الحياة الزوجية بالسلب على عاتق أكبر الأبناء) قالت: أن

لها أمرًا عظيما. اعتدلت في جلستي استرق السمع جيدًا.

- قلت: ما أمرها؟

- قالت: منذ أن بلغت الخامسة عشر من العمر أصبحت تلح في السؤال عن أبيها وباتت مبرراتي وأعذاري يناقض بعضها بعضًا، حجج واهية لا تليق بذكائها وفطنتها...

****

الفصل الرابع

أدهم

(أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا) هكذا بدأ (الأستاذ عامر) حديثة بعد إن رويت له ما كان من أمر ابنه أدهم مع زميلته هاجر بالمدرسة، لم أعلق بكلماتي هذه المرة فقط بقيت أحدق بعيني تجاهه انتظر التفسير...

- قال : منذ ما يقرب من سبعة عشر عامًا توجهنا أنا وزوجتي المغفور لها (الحاجة فاطمة) لدار الأيتام وكان قد مر على زواجنا تسع سنوات وقد باءت محولاتنا للحصول على طفل جميعها بالفشل رغم أن قدرتنا على الإنجاب عالية الا ان هناك راى اخر للطب ..

هنا تدخلت فى حديثة متسائلة : ما دامت القدرة على الإنجاب متوفرة لدى الطرفين فكيف لا يمكن لكما إنجاب مولود؟؟ (لو أن عادل سمع استفسارى هذا لاسترسل في سرد آراء العلماء والأطباء وما توصلوا إليه من أبحاث ونتائج وأسباب واحتمالات النجاح

والفشل بمصادرها والعام الذي بدأ العمل عليها فيه وإلى أي مدى وصلت تلك الأبحاث حتَّى يومنا هذا)....

****

- قال السيد عامر مفسرًا: كان رأي الأطباء واضحًا تجاه ذلك الأمر... أنَّه يوجد ما يسمى «عدم توافق كيمياء الجسم» وأن العلماء أكدوا أن لكل جسم اِتزانه الكيميائى الخاص والتي لا تتفق في بعض الأحيان مع الجسم الآخر... مما يسبب ظهور مشكلة في حدوث الحمل حيث يفرزعنق الرحم (عند الزوجة) تلك الإفرازات العدوانية التي تهاجم الحيوانات المنوية لشخص معين وتقتلها بشكل كامل،

- سألت عن إمكانية توافر طرق علاج لتلك الحالة النادرة؟ فأجابني بالتأكيد قمنا أنا وزوجتي بطرق تلك الأبواب... سألت بشغف وفضول وأنا بالطبع أعرف النتيجة لتلك المحاولات,كيف كان ذلك؟

- قال اعتمد الأطباء على إعطاءها جرعات معينة من (الكورتيزون)، وذلك لوقف مهاجمة الحيوانات المنوية لكن مع الآسف لم يكتمل الحمل بسبب مهاجمة الخلايا للبويضة الملقحة ففشل الحمل بالطبع.

وأضاف الطبيب أنَّه يمكن لكلانا أن ينجب في حالة الانفصال والزواج بشخص آخر، وقد حدث بالفعل مع أناس آخرين قرروا

الانفصال عن بعضهم لشدة رغبتهم في الإنجاب...

****

- قلت: لكن ذلك بالتأكيد لم يكن قراركما؟ وفضلتم استكمال حياتكما معًا بدون أطفال؟؟

أكمل وقد ارتعشت يداه وهو يتناول فنجان القهوة... قائلًا عذرًا تفضلي القهوة كي لا تبرد.

أمسكت الفنجان من يده وبدأت أحتسي بعضها وأنا في شوق لحديثه...

أمسك هو بالفنجان الآخر لكنَّه لم يتذوقه وأكمل قائلًا:

- جائتنى الحاجة فاطمة ذات يوم تبكي وتقول لن أكون سببًا في حرمانك من أن تصير أبًا.

- أرجوك أن تتزوج بأخرى وأن ينفصل كلانا عن الآخر...

- قلت: لا لن أتخلى عنك أبدًا؛ لأنِّي لن أجد امرأة في حنانك وعطاءك... لكن طرأت لدي فكرة إن وافقتني عليها فلن نبتعد أبدًا ويكون لنا ابنًا نحن الاثنين...

طرحت أقرب فكرة لخيالي في سؤال لم يكن واقعيًّاإلى حد كبير لما علمت توًا من مدى ارتباطه بزوجته، قلت: أن تتزوج بأخرى دون الانفصال عنها؟ سادت لحظة من الصمت، وقد تراخى في مقعدة واستطرد بعدها قائلًا:

- كانت الغصن الذي اتكئ عليه واستظل به في حرقة أيامي,

هدية السماء التي وهبني الله إياها، وكانت ملازي وملجأي فهي مثال للزوجة الحنون العطوفة المتسامحة، صدقا انستني همومي، لطالما بكيت بين زراعيها واحتوتني كطفل تائه فقد أمه لتوه، كلما استبد بي اليأس وتوالت الصعاب وبلغت حد السماء، كم حرصت على إرضائي بشتى الطرق وكانت القلب النقي وبئر الأسرار الذي ألقى فيه شقاء أيامي... ورغم أن أدهم لم يكن اِبننا إلَّا أن حبنا نما وازدهر معه أكثر وأصبحنا عائلة صغيرة يملاؤها الحب والإيثار...

ما أجملها من معاني جعلتني أتمنى لو أرى الحاجة فاطمة ولو للحظات أو أن أتسائل هل الموت فعلًا يختار كما يزعمون؟!

قال لا لم أفكر لحظة في جرح مشاعرها وخصوصًا أنَّها في نفس الموقف وكان من الممكن أن يكون لديها طفلًا من زوج آخر إن شاءت ذلك...

لكن الأمر لم يلقَ ترحيبًا من كلان، التزمت الصمت وكلي أذان صاغية. وأنا أُحملق إليه.

****

كان المساء مقمرًا كتلك الليلة التي قضيتها مع عادل, كان القمر يلقي نوره وضياءه على الأشياء من حولنا فيكسوها بلون الفضة كما ينعكس بريقة على أعين كل منا فيرى فيها صورة لنفسه التائهة...

****

سرنا تحت الأشجار المتكاثفة نخطو فوق الأرض المعشبة يتقارب بعضنا من بعض بحالة لا شعورية لم نسمع من الأصوات إلَّا زقزقة الطيور تغرد بأصوات عذبة مترنمة وصوت خرير المياه المنبعث من العيون المتناثرة تسقى الزروع والأشجار. أخذنا نتجول ونتبادل الحديث لساعات لا أحصى عددها...

كيف لم أرَ تلك الأزهار من قبل أم أنَّنِي أراها الآن بعيونه... قطف عادل ثلاث زهرات صفراء وأخرى بنفسجية ولفهما بفرع دقيق قد تدلى من أحد الأغصان، فصنع منها عقدًا رائع المنظر, وضعه بخفة ورقة حول عنقي وقد فاق برونقه أثمن عقد قد أبدع فيه أمهر صانعي الألماس واللؤلؤ، بدت البهجة طاغية على وجوهنا..

لا أدري لماذا تركت يديَ تنام في قبضته، تتسارع خفقات قلبي, ما زلت أستسعر حرارة يده, كلماته التي تثنى على جمال صوتي وعذوبته حينما وجدتني أتغنى بتلك الكلمات بشكل لا شعوري: «ياما عيون شاغلوني لكن ولا شغلوني... إلَّا عيونك أنت ...» فإن لم أتغنَ بعيون عادل فلمن تكون الأغانى إذن!!؟ كم شعرت بأنِّي كالطير أحلق في الفضاء كلما أمطرني بعباراته الرومانسية الناعمة.

****

- أكمل عم جمال قائلًا:

رزقنا الله بست من البنات وولدًا واحدًا وكلما بلغ أحدهم السادسة

عشر من العمر حتَّى (يصير قعيدًا) لا أعلم هل هو نوع من التخلف العقلي أم حالة من (ارتخاء في الأعصاب الحركية) الذي يؤدي إلى الشلل في حالة تلف الأعصاب لقد شرح لي الطبيب أسباب متعددة لذلك المرض أتذكر منها: (أمراض المناعة الذاتية ومرض الأمعاء الإلتهابي، النقص الغذائي مثل فيتامين B١٢,B٦ وإصابات الأعصاب)، لم أعد أدري فتفسيرات الأطباء كثيرة أمَّا الواقع أنَّنَا أمام حالات عاجزة تمامًا عن الحركة أو القيام بأي مجهود عضلي أو نشاط ذهني أو أداء أقل وأدنى متطلباتهم الشخصية كذلك...

- أحسست بسهم ناري يخترق صدري, ويترنح بين أجزائي يبعثرها كشظايا بلور متهشم متناثرًا بالأرجاء...

- قلت مندهشة: جميعهم؟؟ قال: نعم حدث ذلك مع الثلاثة أبناء الذين بلغوا هذا العمر مما جعل باقي أخوتهم ينتظرون ذاك القدر الحتمي, (لا لن أتمكن من التماسك هذه المرة جرى الدمع من عيني منهمرًا على وجنتي دون توقف)...

- قلت بصوت مخنوق لا أعتقد أنَّه استطاع تفسيرة. وهل صرح الأطباء بأن السبب الرئيسي يرجع إلى زواج الأقارب؟؟ قال أن ٧٥٪ من حالات التخلف العقلي نتيجة ذلك بالفعل وتكون مصحوبة بشلل جزئي أو كلي وما أستطيع قوله بالفعل أن الطب أصبح عاجزًا أمام تلك الحالة، وبدون سؤاله استمر يتلو ما حدث مع أبنائه في الأعوام الأخيرة ...

****

مريم

في تمام الساعة الرابعة من مساء اليوم التالي، استقليت سيارة(أوبر) uber متجهة لمنطقة الفيلات حيث تسكن مريم فقد كان الطريق مكتظًا بالناس والسيارات المزينه بالورود والزروع وأفرع الأشجار الملونة وفروع النور تحيطها من كل الجوانب، فقد صادف اليوم مناسبة مهرجان الربيع الذي تحتفل به مدينتي الساحرة وهي إحدى مدن القناة الثلاث والتي تلقب: «بعروس القناة»...

وجدير بالذكر أن يوم المهرجان يسبق عيد (شم النسيم shemu) الذي يمتد تاريخه إلى قدماء المصريين وعمره أكثر من ٤٧٠٠عامًا والذي اعتبر بداية الحياة بسبب تفتح الأزهار وإنبات الزروع يتمتع ذلك المهرجان بألوان البهجة وما يحتويه من فقرات متنوعة لبعض الفرق الاستعراضية وتقام مسابقة ملكة جمال الأطفال تحت اسم: «أميرة الفراولة».

******

يتجمع الآلاف من الناس باصطحاب أطفالهم يرتادون الحدائق والشواطئ تعبيرًا عن سعادتهم بذلك العيد.يحتفلون ويهللون يمارسون الألعاب، يتناولون الطعام التقليدي المخصص لهذا اليوم (كالأسماك المملحة والبصل والخس والبيض المسلوق الملون ذو

الرسومات والأشكال المتعددة)، كمثل عادة أجدادنا القدماء والتي تعود حسب اعتقادي إلى الأسرة الرابعة...

****

وبالرغم من عدم انتهاء فصل الشتاء إلّا إن تلك الأيام تكسوها الحرارة الشديدة والشمس المشرقة الساطعة، ليس عجبًا من التغير السريع للطقس وتقلب المناخ في أثناء اليوم الواحد...

قاد بي عادل سيارته من داخل هذا الحشد العظيم قال سأجعلك تشاهدين المنظر من وسط الحدث بل ويشاهدنا الجميع كأحد المشاركين فيه بسياراتهم.. مضت بنا السيارة إلى منتصف الطريق... الآن أرى الناس مصطفين على الجانبين... يمسكون بهواتفهم، يلتقطون الصور والفيديوهات لتسجيل تلك اللحظة برونقها، ورأيت عربات الزينة تسير أمامي وأخرى تتبعني.

شكرت الله حينها أن سيارة عادل يكسوها ذلك الزجاج الملون (فامية) كي لا أبدو واضحة للناظرين ومسجلي الحدث على أجهزتهم النقالة وإلّا مت خجلًا، لست أدري كيف يكون عادل بتلك الجرأة ويقدم على ذلك الفعل، حينها قال لي: عندما أكون بصحبتك فأنِّي أنسى العالم بأكمله ولا تبصر عيني سواك ولا يدخل الكون باثرة في دائرة اهتماماتي ما دمتِ أنتِ معي وبجواري.

****

فيلا دكتور إبراهيم عبد الكريم:

استقبلتني والدة مريم, حيتني وأشارت بيدها تجاه الصالون

ذوالإطار الذهبي والألوان المتداخلة من المشجر والسادة، خليط يمتاز بروعة الذوق والفن الرفيع...

- بدأت الحوار: هل مريم موجودة الآن قالت: (ابنة أبيها) لا ليست بالبيت الآن،

- سألت متعجبة من تعليقها: أليست مريم ابنتك؟

- قالت لم أقصد ذلك المعنى بالتحديد, أوصلتني لأقرب مقعد في (الريسيبشن).

- قالت تفضلي بالجلوس واستدعت ال«house keeper» أو مديرة المنزل وأمرت بإحضار الشاي والجاتوة.

بعد دقائق دخلت أخرى بزي أزرق قصير تضع فوق شعرها (بونية) أبيض اللون كمثل مريلة المطبخ الملتفة حول خصرها... ملامح وجهها تدل على أنَّها أجنبية وقد تمتمت بكلمات لم أفهمها بالطبع... وقد دفعت أمامها عربة صغيرة حاملة فوقها صينية, من الفضة تتحلى أطرافها بمشغولات من الذهب عيار ٢٤ أو هكذا رسمها خيالي...

انتبهت لصوت والدة مريم وهي تقول: ما الأمر؟ ماذا فعلت مريم؟ بدأت الحوار بسؤالي: ما هو عملك؟ قالت صحفية بإحدى المجلات؟

- قلت والد مريم طبيب حسب ما قرأت الافتة المعلقة بمدخل الفيلا.

- قالت لا أنَّه ليس طبيب هو أستاذ في كلية الهندسة وكثير السفر لدول أجنبيَّة.

- قلت مكررة سؤالي الأول: بل ماذا قصدت بقولك ابنة أبيها؟

****

- قالت: أنَّها كثيرة الشبه بأبيها وعماتها في الملامح والصفات على عكس أختها الأصغر (مي) التى تشبهني في الشكل والجوهر على حد سواء، تسلل بداخلي شعور لم يكن غريبًا بالقياس لما سمعته من الأم لأنَّه بدا واضحًا لعيني أن مريم وهي صاحبة المشكلة الابنة الكبرى فائقة الجمال والجاذبية على العكس مما أراه أمامي الآن، مريم هى الأقرب من أبيها، هوالذي يعتني بها أثناء إجازته من العمل بالخارج، وفي غيابه تقضي أوقاتها على الفيس والشات تحاكي أصدقائها، وبعضهم من دول أجنبية...

في حين أن الأم تقترب من (مي) فقط تحاكيها طوال الوقت و تعرف أسرارها، رأيت من الأفضل عدم إطالة استفساراتي عن الأسرة وإن ابدأ بعرض المشكلة التي أتيت لأجلها: تناولت قطعة من الجاتوه مع بعضًا من الشاي ثم وضحت الأمر كما روته لي مريم بالمدرسة وكما رواه ذلك (الزوج تامر) زميل الدراسة وزملائها الآخرين شاهدي الحدث... ناصحة إيَّاها بالتروي والحكمة في التصرف ورد الفعل. لم اكد أنتهي من حواري هذا حتَّى سمعنا صوت فرامل صاخبة يمتزج بصرخة عالية أتية من الخارج!...

****

تكررت لقاءاتي بعادل لم أكن أبادر بطلب موعدًا للقاء لكنِّي كنت أتطلع بلهفة وشوق لتلك اللحظة التي يطلب فيها مقابلتي والتنزه معًا بأحد الأماكن التي أعشق عبيرها وترابها الذي يخطوه عادل بقدميه.

حتى صباح اليوم الذي صارحنى فيه بمشاعره ورغبته في توثيق الارتباط بيننا بذلك العقد الشرعي المسمى (بالزواج)، لم تكن مفاجاة لي. فليس عادل من نوع أولئك الرجال الذين يرغبون بالتسلية وقضاء بعض الوقت مع إحداهن بدون هدف... وذلك السبب الأساسى الذي جعلني أكرر لقائي به مرات وأنا أشعر بالراحة والأمان.

ما ذلك التناقض الذي يعتريني من الداخل لا أدري هل أحببته هل تمنيت أنا أيضًا مشاركته أيامه وأحلامه. لم تكن مشاعري واضحة محددة لم أعترف بها حتَّى لنفسي... فلست أنا التي تلقي بقلبها في علاقة غير مؤكدة لا تعرف مداها أو ما يمكن أن تنتهي إليه...

كيف ذلك ولا أرى وجودي ولا أستشعر كياني إلا بين يديه؟ كيف ذلك ولم ينبض قلبي إلا برؤيته!! ظل طيفة يطاردني أينما سرت، اعترف أنِّي أفوق هؤلاء الجبناء في مخاوفهم... دومًا ما أخشى أن أزج بقلبي إلى تلك الهاوية السحيقة، هاوية الارتباط العاطفي أو

(العشق) ثم.. زواج... يعنى مأساة جديدة أخرى؟؟!!
يجب أن أصارح نفسى فأنا أحتاج للكثير من الوقت كي أكسر تلك الحواجز المنيعة التي تحيطني بل وتتملكني ضد أي من الرجال منذ سنوات....

****

الفصل الخامس

كان هذا ما تلته نادين عن المدير العام أثناء حديثها معه عبر الهاتف: كان كلامه لى بلسمًا مطمئنًا ووعدني بأن يتابع مشكلتي بنفسه وطلب مني الحضور لمكتبه في اليوم التالي....

قصصت له ما جرى من طاقم السكرتارية فيما سبق وفي كل مرة أحاول الوصول إليه.

- فكان رده: عندما تصلين للمكتب اتصلي بي وسأمر أحدهم بأن يوصلك إليَّ على الفور.

- فهل ذلك ما حدث فعلًا؟

- لم أكن أعلم أنَّه سيواجهني به لكن حين دخولي المكتب، فوجئت بمديري يجلس معه جنبًا إلى جنب فتوقعت الإجابة على شكوتي لكنِّي جلست ورويت الموضوع فقد يخيب ظني.

ومن طبيعة شخصيتي أنِّي لا أخشى المواجهة لصدقي ومن الواضح أن مديري على أتم الاستعداد لها فهو محنك وقادر على التدبير والتأمر.

- قال: احكي مشكلتك أمام مديرك؟

لم أرتبك لأنِّي على كل حال عبثًا صارحته هو نفسه مرارًا بذلك... فتحدثت وتلوت ما يدور منه تجاه عملي وكيف أنَّه ينسبه لغيري...

- فماذا كان رد فعلهما؟

- أنكر رئيسي المباشر ذلك بالطبع بالإضافة إلى اتهامي بالتكاسل والغياب المستمر إلخ....

ومن جانب المدير العام, كان ردًا قاطعًا بأنَّنِي أفتعل المشاكل لمديري لأنِّي أطمع في منصبه وأن أحتل مكانه... وبات واضحًا أنَّك إن لم تكن مديرًا فلن يعيرك أحدًا آذان صاغية ولم ينوِ تصديقك بكل الأحوال.. فما كان مني إلَّا أن أهديهما نظرة من التعجب والإنكار وأشكر كلاهما...

****

خرجت لمكتب السكرتارية وعلى الفور تقدمت بطلب الاستقالة من الشركة،

- قلت متحيرة: ألتلك الدرجة لا تحتل الخبرة والاجتهاد في العمل مكانًا في شركتكم؟

- أجابت: هذا مع الأسف ما يحدث حينما يوضع شخص غير مناسب بمكان كثير التميز؟

لكنِّي سأبدأ من جديد بشركة أخرى فلا تعنيني المراكز ولن تدخلني يومًا في صراعات وسأترك المجال متسعًا لمن يرغب بذلك.

أي قدرة, أى ملكة بل أى صفات شيطانية يمتلكها مثل هؤلاء الأشخاص للتأثير في النفس البشرية بكلمة أو بنظرة ترمز لتعبير ما؟

كيف يمكن لهم تغيير الحقائق بتلك الجرأة والثقة المتناهية؟ كيف يمكن تحويل الظالم إلى مظلوم في عيون الآخرين بل وعقولهم؟؟ رددت عليها التحية متمنية لها يوم موفق مختلف عن سابقيه...

****

كنت أرقبه عن بعد أتحسس خطواته خلف تلك النافذة الزجاجية القابعة فوق حائط غرفة مكتبي المواجهه للسلم المؤدي للطابق الثالث حين استتنذ بظهره إلى حافتة يشعل تلك السيجارة التي تمنيت أن أحظى بموضعها بين أصبعيه فتحترق في صدره أنفاسي الملتاعة وقد حجبت عن عيني رؤياه تلك الطالبات حين اِلتففن حوله لكنهم لم يتمكنوا من اختراق ذاك الأثير الواصل بين قلوبنا... فما ذلك الأمر الهام الذي يجعلهن يكثرن من الحديث معه في كل حين بين كل حصة وغيرها، ولماذا يطيل الحديث معهم ولا ينهيه من فوره يتملكني شعور الآن بأن أخرج إليهم فأعنفهم. فأطيح وألقي بهم بعيدًا عن ناظريه...

****

كانت تلك رواية عم جمال عن أبنائه:

(منة) الابنة الكبرى كانت تعد لحفل زفافها وعندما حدث

ذلك الأمر تركها خطيبها ورحل وما زالت ترتدي (خاتم الخطبة والأسوار) بيديها إلى الآن...(محمد) الذي يليها في العمر كان متفوقًا بدراسته يحلم أن يصير طبيبا فجعله القدر قعيدًا, إنَّهما يتحدثان بعض الوقت ولديهم جزءًا من الذاكرة ويعلمون ما مروا به جيدًا أمَّا (بسمة) الابنة الثالثة فقد تمت خطبتها منذ وقت قصير وهي دائمة السؤال هل سأصير مثل أخوتي عند بلوغي ذلك العمر؟ إلَّا إنَّنَا لن نتمم إجراءات الزواج تحسبًا لما ينتظرها من مجهول...

لم أعرف كيف يكون السؤال أو ماذا يكون الرد...

****

لم أستجمع من الكلمات ما يمكن أن يواسي (عم جمال) وقد لاحظ تلعثم الأحرف بحلقي فقال تتم معالجتهم الآن على نفقة الدولة كما وفرت لنا عددًا من الكرسي المتحرك الذي يمكنهم من الحركة خارج المنزل والجلوس بالشمس والهواء بعضًا من الوقت ونقوم على خدمتهم جميعًا أنا ووالدتهم وأخوتهم الصغار...

عذرًا أن تتسلل لأعماقي بعض الآلام لرؤيتهم على هذه الحالة وأنا عاجزًا عن فعل شيء لإنقاذهم... لكنَّها مشيئة الله تعالى وقدره فينا ولا اعتراض على حكمة وقضاؤه... وأكمل(أن العين لتدمع وأن القلب ليحزن)...

سبحان من جل شأنه وتنزهت ذاته عن كل نقص وتفرد بدوام

العزة وصفات الكمال، قال الله تعالى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ * وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)) ... قلت هذا اختبار من الله وهي سنته تعالى في عباده, يبتليهم بالمحن ليتبين الجازع من الصابر فلتحتسب أجرك عند الله لتنال جزاء الصابرين الذين يوفون أجرهم بغير حساب... أسرعت إلى الحمام لأضع رأسي تحت الماء البارد عله يجلي ما بها من أفكار ويذيب رجفة تملكت قلبي من هول ما سمعت.

****

أكملت والدة هاجر: وفي نفس العام تعرضت هاجرلحالة نفسية, صمتت دقائق وقد اِغرورقت عيناها بالدموع، أطلقت تنهيدة تنم عن حزن دفين... انحنت على علبة المناديل الورقية الموضوعة فوق المنضدة المجاورة لنا والتي تحمل أحد مزهريات الورد الأبيض الذي يكسو جوانب الصالون في محاولة لإخفاء تلك الدموع العاصية وقد أقسمت إلَّا تبين ضعفها إلَّا في خلوتها فحسب، تحولت ببصري عنها لحظات كي لا تشعر بالحرج, أمسكت بزجاجة البيبسي أتحسس برودتها كي أكتسب القدرة على متابعة الأمر...

ثم تابعت, الشك في كل الناس أخوتها، أصدقائها، الجيران، فقط أنا التي تثق بكلامي وتطمئن بوجودي بجانبها طوال الوقت، لم ترتاد حفلات النجوم الشباب مع زملائها أو حفلات أعياد الميلاد وترفض

عمل حفلة عيد ميلادها كل عام... (قلت لنفسي بل وجدت غيرك اِطمأنت إليه وألقت بنفسها في أحضانه... ربما وجدت عند أدهم عقارًا لم يصفه طبيبها المعالج منذ تلك السنوات).

****

ولم لا! أليس في الحب دواء لنفوس حيرى ملتاعة! إلَّا تنسيك لمسة الحبيب والقرب منه الدنيا بأكملها! ألم يغير الحب كيمياء الجسم ويحسن حالة أجهزته وأدائها، وأن مشاعر الرومانسية تلك ما هي في الحقيقة إلَّا تفاعلات كيميائية يتسبب فيها هرمون ال(دوبامين) في الدما غ ويخلق فيضًا من المشاعر القوية وهو السبب باندلاع بركان الحب أو خمودة بنفس القدر وإن كمية (النواقل العصبية) تجعل ذلك الحب حيًّا نابضًا.

ينشط الناقل العصبي (فينيثيلامين) وهرمون التستوستيرون مما يؤثر بعواطفنا وسلوكنا وتقوم كيمياء الدماغ الأكثر تعقيدًا بالتأثير على انفعالاتنا وإن لم ينجح ذلك الحب يقوم الدوبامين بتأثير عكسي يدفع للكراهية بنفس شدة الحب السابقة...

****

فشعور هاجر بأنَّها محبوبة ومرغوبة وبأنَّها سببًا باستمرار نبض أحدهم, أن يصبح تعلقها به كسريان الدم في العروق, ألم يكن ذلك كافيًا لأن تشفي من محنتها وشقاءها النفسي؟؟

وعدت أتساءل لماذا تمَّ ذلك عن طريق الوقوع في الخطأ ما دامت

هي الأقرب من أمها ولا تطمئن إلَّا بوجودها فلماذا أخفت عنها حبها وعشقها. ربما وافقتها الأم في الرأى ورأت أن دخول أدهم حياتها شيء هام لحالتها, ولماذا زادت من وجع أمها وإيلامها ألم يكن شقاء الأم هو ذاك السبب الرئيسي لمرضها النفسي ولماذا....؟

****

أكمل السيد عامر:

توجهنا يومًا لأحد دور الأيتام وكانت تبعد عن المدينة بحوالي ساعة ونصف الساعة بسرعة السيارة وكانت مديرة الدار سيدة تتعدى الستين من العمر من محبي عمل الخير وتعمل بالمكان بشكلٍ تطوعي يبدو على وجهها وهدوء صوتها صفات العطف والأمومة، فناء واسع رملي خالي من الزروع والأشجار، حوائط وأسوار بالية لم يعد لدهاناتها لونًا، متهتكة من أثر الشمس الحارقة...

- سألت: في أي عمر تريدون ابنكم أن يكون أم ترغبون ببنت؟

- قالت زوجتي: ولد... ومن الأفضل أن يكون حديث الولادة...

- قالت المديرة شهرين؟ ردت زوجتي مبتهجة جميل جدًا, حملته بين ذراعيها فتبسم ضاحكًا كان شعره أسود طويل ينساب على جبينه ويغطي أذنيه أبيض الوجه ذو عينان رماديتان جذابتان... سررنا برؤيته وانجذبنا إليه من النظرة الأولى...

ومنذ ذلك اليوم أصبح أدهم ابن وصديق، وملأ بيتنا فرحة ومرح

****

نهض واقفًا دار حول المقعد المواجه لي تحرك بعصبية مفاجئة علا صوته قليلًا وهو ينطق تلك العبارات، إلى أن فقدنا والدته منذ عامين فبلغ الحزن منا مبلغًا جثيمًا كما استبد بى اليأس كمثل حال ابننا أدهم، فأنا أعلم مدى تأثره بفقدها رغم أنَّه قليل الكلام والتعبير ونادرًا ما يبوح بما يشعر به، أسندت ظهري إلى المقعد ورفعت رأسي قليلًا واتسعت عيناي كي أتمكن من رؤية ملامح وجهه.

أطلت من عينيه نظرات تنم عن حزن عميق، وهو يلاحق أنفاسه قائلًا:

ساد البيت جوًا من الكأبة والسكون حتَّى إن بعضنا لم يحادث الآخر أيامًا كثيرة، ثم عاود الجلوس أمامي كما عاد لهدوءه الأول الذي كان يتسم به في بداية اللقاء قال: لكني لا يجب أن أستسلم للحزن أبدًا إن ادهم ابني وحافزي لاستكمال حياتي سأحيا من أجله فقد كانت تحبه حبًا جمًّا لذلك سأفعل ما يريحها ويرضى روحها اعترف أنَّنِي كنت مقصرًا معه في الفترة الماضية لكني سأعاود لغة الحوار بيننا لما كانت عليه وسأكون بئر أسراره وحافزة للنجاح، ولتجاوز تلك المحنة...

****

اِنتابني إحساس بأن السيد عامر سيستطيع بذلك الأمل والحماس

أن يجد مخرجًا من الورطة التي أقحم ابنه فيها نفسه,»على كل حال لن يكون الوقت متأخرًا لتدارك الأمر ما دمنا نحيا بالأمل ونتمسك بالمبادئ فلن يفلت زمام الأمر منا وسنعيد أبناءنا إلى الصواب».

لم أعقب فليس ثمة ما يمكن أن يقال، فعلمي بأن حزنه أبلغ من جل الألفاظ ومعانيها، لم تسعفني الكلمات لعزاءه ففضلت أن اكتفي بالصمت ربما الزمن وحده كفيل بذلك، رغم تأثري لحال الأب والابن لفراق الزوجة والأم إلَّا أنَّنِي كنت أشعر بشيء من الرضا لما رأيتهم عليه من الوفاء والمحبة... تلك المشاعر التي يفتقدها الكثيرين من ذوي رباط الدم والقرابة..

****

سلكت طريق العودة لمنزلي وقد علمت مؤكدًا ماذا سيكون تصرف كل أسرة تجاة المشكلة.

رأيتني أسير وحدي في الطريق ذاته الذي اِعتدنا أن نسلكه معًا, والمنحدر من أعلى وغالبا ما أوقف عادل سيارته وأقلع عن القيادة فنزلنا وأكملناه سيرًا على الأقدام، كانت الأشجار العالية بارتفاع النخيل تمتد على جانبية تتشابك أغصانها من أعلى. يحتضن كلاهما الآخر فلا تستطيع الأعين أن تميز لأي شجرة منها تنتمي تلك الأغصان, يتخللها زروع ونباتات كثيفة الأوراق والأزهار تختلف ألوانها وأشكالها بديعة المنظر والرونق, ذكية الرائحة تعطيك شعور بأنَّك تسير في الجنة فإن لم تكن الجنة بصحبة عادل فما

٥

لم يكن بمقدوري أن أعلن إرادتي بالزواج من عادل حتَّى حان موعد إقلاع طائرته المتجهة إلى لندن فقد اختير للسفر في بعثة علمية لمدة لا تقل عن عامين حينئذ وجه لي حديثا حاد اللهجة لم أعهده في أي وقت أو حوار دار بيننا من قبل.

قال: أنَّنِي أتعذب من ذاك الجبن الذي يحتويكِ وعدم حسمك للأمور أنتِ لست صاحبة قرار. دائمة التردد... أنت ستهدمين ذلك الحب الكبير الذي ألف بين قلبينا وتفوتين أجمل أيام حياتنا في البعد لأسبابك الواهية ومخاوفك التي ليس لها أساس من الحقيقة فهل تعتبرين حبنا جريمة وإن النهاية الحتمية المقدرة لنا هي الفراق, وهل أنتِ الأولى أو الاخيرة في هذا العالم ممن تتزوج بعد رحيل زوجها أو أن وجود ابنة لديك هو الجسر الذي لا يمكننا اختراقه...

لم يصدر عني سوى تلك النظرة البلهاء المستنكرة، في حين أكمل محاضرته وردد ثائرًا تلك المقولة للكاتب العظيم وليم شكسبير:

((To be, or not to be: that is the question)) والتي تعني أكون أو لا أكون ذلك هو السؤال, إن تكون سيدًا صاحب القرار متحملًا تبعاته، أم تعيش شبحًا في ظل الآخرين ممن يملكون قراراتك ويتحكمون بمصير حياتك فيديرونها طبقًا لمشيئتهم، ويكون قرارك حينئذ ألا تكون...

كان عادل محقًا في كل حروفه وألفاظه فلماذا كل هذا الخوف الذي يحاصرني فأنا أعيش وحيدة منذ سبعة أعوام، فكثيرًا ما يجد الأبناء ما يشغلهم عن الأم خصوصًا في هذا العصر الذي نحيا به وسط السيل الجارف المسمى بالتكنولوجيا... ظللت أتسائل ما دام عادل ينطق صدقًا فلماذا أحكم على نفسي أن تبقى سجينة خلف قضبان أفكار ومعتقدات بليت مع زمن ولى وانتهى؟

إلَّا أن كلمات عادل وعتابه العنيف الممزوج بتلك العاطفة والشعور الجارف أعادت على الذكريات الأليمة، فبالرغم من تجاوز صبري واحتمالي كل حدود الصبر إلَّا أنِّي لم أسعى للتحرر يومًا من قيد ذالك الزواج، ولطالما منيت نفسي بأن يومًا ما سيعود لأحضاني...

- يومًا ما سيهديه قلبه وضميره ويوجهه حنينه لما تحتويه كلمة الأب من معاني وحق الزوجه عليه...أن يحتضن تلك الأسرة الصغيرة.. يأخذها لدفئ أحضانه إن يشعر بإحساس المودة والرحمة التي جعلها الله تعالى منهجا للحياة بين الزوجين.

كم تطلعت لذلك اليوم الذي تكتسي فيه رؤسنا بلون الفضة وتنحني فيه ظهورنا فيجد كل منا من الآخر متكأ وسندًا في خريف

أيامه... كان عليَّ أن أدرك أن احترامي له من الأساس والمفترض لكونه شخص يستحق الاحترام والتقدير وليس لأن الواجب هو الذي يفرض على ذلك، فماذا عساي أن أنتظر الآن؟؟!!

****

لم أكتشف أن ذلك كان خطأ بالغًا إلَّا بعد إن أدركت مؤخرًا، وعلى حين غرة، وغفلة مني بمحاولاتي المتكررة الفاشلة لإصلاحه وطبيعته المتحجرة المشاعر، وما هو عليه من التكبر والتمرد، الحال الذي أصبحت عليه ابنتي، من سمات شخصية ضعيفة ومنهزمة غير واثقة بنفسها على الإطلاق رغم ما تتحلى به من صفات جمالية لا يناظرها أحد من زميلاتها وجيرانها.

فهي ذات عيون سوداء واسعة في طرفها حور، بيضاء الوجه، ذات شعر طويل بلون الليل ممشوقة القوام، إلَّا إنَّها لم تشعر بجمالها ذاك ومما يثير حزني هو رفضها الدائم للارتباط بأي رجل شريكًا لحياتها حتَّى وإن كان (علاء).

ذلك الشاب الطموح المهذب الحاصل على بكالوريوس الهندسة الميكانيكية، طويل القامة أسمر البشرة والشعر، خفيف الظل، يعمل منذ تخرجه بإحدى الشركات الكبرى يسكن في المنزل المجاور، وهو الابن الوحيد لأبوين يعملان بوزارة الصحة, وهم من خيرة الناس، أطيبهم قلبًا وأكرمهم خلقًا وأحسن الجيران سمعة وأقربهم مودة لأسرتي، والدته كثيرة السؤال عني ولم تبخل

يومًا بزيارتها...

****

كان علاء قد تقدم لخطبتها في العام الماضي وهو على استعداد لإتمام الزواج بها في أقرب وقت لحبه الشديد لها وأمنيته بأن تصير شريكة حياته إلَّا أن ابنتي أصبحت تخشى ذلك الارتباط وتلك العاطفة فهي ترى جميع الرجال من زاوية واحدة هي (أبيها) ودائمًا ردها لن أتزوج مطلقًا، إلَّا أنَّه لم ييأس من محاولة إقناعها والتودد إليها أملًا في تغيير نظرتها والعدول عن رأيها ذات يوم، ذلك الأمل الذي أحيا بانتظاره والذي يقودني أنا وجارتي والدة علاء لتلفيق الأسباب وافتعال المواقف من أجل لقائهما صدفة لربما....

كنا قد اتفقنا على عمل حيلة وتهيئة الظروف لإجراء مقابلة يجتمع فيها أبناءنا فعلاء جدير بحب ابنتي وهي بالمثل جديرة بأن تصبح زوجة له... فدعوتهما إلى مائدة العشاء كما شاركنا علاء في تلك المؤامرة ففكر في طلب مساعدة (ميار) في عمل يحتاجه في نفس مجال دراستها (البرمجة)، وأصبح يتردد علينا مرات، وهي لم تبدي اعتراض لمساعدته وبدأ الحديث يطول بينهما ويتطرق لموضوعات شتى كنت أراقبهم عن بعد داعية الله أن يخفق قلب ابنتي وأن تخترق مشاعرة الغالية ذلك الحصن فتصل يومًا...

****

- قلت: لكنِّي يا عادل أخشى على ابنتي من تأثير نبأ زواجنا على حالتها النفسية فهي تكره الحديث في هذا الموضوع وتخشاه كثيراً.

- قال عادل: سوف نجعل من حبنا وعطفنا قدوة لها, سترى وتشعر الأمان الذي حرمت منه طوال حياتها (سنعالجها بالحب يا عمري) وستتغير أفكارها وتحس بحلاوة الدنيا بين أحضاننا...

****

يوم إن غاب عن عيني لم أشعر بتلك النسمة تعانق وجنتي تبعثر شعري بالأرجاء، يوم إن غاب لم أعد أشعر بدفء الشمس في نهار الشتاء, ويوم إن غاب عني لم أشعر بتدفق الدم بشرايين قلبى ليحى نبضاته بل لم أشعر بوجوده وكأنَّه توقف عن خفقانه إلى الأبد...

****

إن ما يربطنى بالحياة هي تلك الرسائل التي لم تنقطع يومًا راجيًا منتظرًا موافقتي على طلبه كي تعود النبضات لكلانا، وهو على تمام العلم بأنَّها تمثل لي الحياة الآن... فيقضي جل وقته في الحديث معي من خلال تلك الرسائل الحميمة، وكان يستهلها بعبارة أنتي سلوى أيامي ومبعث روحي وامالي.. يجعلني أعيش أوقاته... يحكي تفاصيل يومه الدقيقة من بداية استيقاظه حين تقع عيناه على صورتي الموضوعة بجوار سريره فيحتضنها (حينما

رأني أقف في شرفة الشقة بالطابق الثاني وكيف كان الهواء يعبث بشعري وتكسو ملامحي سعادة غامرة ثم ما لبث إن وقع ابني الذي أحمله بين يدي إلى أسفل وارتطم بالأرض فمات من لحظته).
فاستيقظ مفزوعًا خائفًا فطلب مني أن أحادث أحد مفسري الأحلام بإحدى القنوات التليفزيونية ففعلت وكان التفسير مبشرًا حيث علمت أنِّي أحيا حياة ذات رفاهية مختلطة ببعض الهموم والابن الذي يسقط مني يدل على اِنقضاء ذاك الهم ونهايته يومًا ما... يحكي عن أصناف الغذاء المتوفرة لديه وميعاد وصوله للعمل ورجوعه للمنزل...
يطلب مني أن أوقظه مبكرًا يوم الاجتماعات الهامة فيسقط قلبي بين قدمي من كثرة اتصالاتي خوفًا أن يكون قد وضع هاتفه موضع الصمت، ما أحدث المسلسلات والأفلام التي يتم عرضها حديثًا، وكيف يمضي عطلة نهاية الأسبوع معي وفي أحضان رسائلي وبين سطور عباراتي، كم تزيدني رسائلة لهفة وشوقا لرؤياه كم أتمنى ألَّا أفارق أيامه كما هو معي يطير حولي يطيح بدقائقي وساعاتي يحتويني بذلك الحنان الفياض الغامر ...

****

أسرع جميع من بالبيت متجهين للخارج نحو صوت الفرامل والصراخ وقفت، انتفض قلبي وكاد يقفز من بين ضلوعي تسمرت بمكاني لحظات لا أدري ما يمكن فعله. فلما أن استغرق بقاءهم

بالخارج فترة ليست قصيرة سأورني خوف وفزع هل ممكن أن يحدث ما أفكر به.
لا من المستحيل أن تفكر مريم بالانتحار إن انكشف أمرها لوالدتها وأختها الصغرى.
أذكر أن مر على سمعي شيء يشبه ذلك الكلام أثناء حديثي مع أدهم وتامر وقد استبعدت البنات خارج المكتب، وقتها لم أنتبه لما دار بينهما من حوار بشكل هام... وإن كنت سمعته مؤكدًا فلن أعيره جزءًا من الأهمية لأنَّنِي لا أستسلم لتهديد ولا أخضع لمثل تلك المهاترات فهل اِتخذت الفكرة وضع الجدية بعقل مريم ونفذت تهديدها بالفعل...
أخذت نفسًا عميقًا وأغمضت عيني لحظة لأطرد ذلك الخاطر بعيدًا ربما كان حادثًا فجائيًّا على الطريق أو ربما كان صوت فرملة يحاول بها السائق أن يتفادى وقوع حادث أو.... قطع أفكاري دخول اثنين من الخدم يحملان مريم على أكتافهما يتساقط من رأسها شلال من الدماء وضعوها فوق تلك المنضدة الرخامية المرصعة بالعاج يتدلى من فوقها شعر كأنه خيوط الذهب وقد أسبلت تلك العينان الخضراوان إلى الأبد وقد لفظت أنفاسها الأخيرة لحظة أن اصطدمت بالسيارة...

****

عند انقضاء اليوم وحلول المساء خالجني شعور بالحاجة إلى بيت

أخلد فيه للراحة والسكون فقضيت اليومين (عطلة نهاية الأسبوع) في استرخاء تام على صوت(فايزة أحمد) الحنون قبل أن يتحتم على العودة إلى تلك المدرسة الصاخبة المحتشدة بالمشاكل... متمنية نسيان ذلك الأسبوع وما احتواه من أهوال، و أن يطوي زمان قد مر بي «كطي السجل للكتب».

كقول الشاعر: «وليس يعادُ للإنسانِ دهرٌ ... إِذا صَفَحاته يومًا طَواها».

أترى يبتسم القدر لنا يومًا؟؟

يرسل لنا نورًا وهاجًا يخترق تلك العوائق العتيقة المتراكمة بقلوبنا.

ترى يمكن لتلك الأحزان أن تتركنا وترحل باحثة عن وطن تسكن فيه بعيدًا عن كياننا، إن تحرر معصمنا من قيود قد أدمتها من قسوة عناقها.

أن أحقق ذلك السلام النفسي والومضة الروحية التي ترسل الطمأنينة في شتى جوارحي!

ترى تعود فتبتسم أيامنا وتثب الفرحة بدربنا! أن تجمع لنا خيوطًا من أشعة الشمس الدافئة ممتزجة برياح تحمل ندى الأمطار في مساء ساطع قمره، مزهوًا فخورًا بروعته وبهاه، تلتف حوله آلاف النجمات... ترى...!!؟

تمت

تمَّ الحصول على المعلومات الإثرائية من خلال البحث في جوجل.



01020439639